

خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر

@ 281 @ جبل جزاه انا أفضل ما جرى به أحداً من القضاة فهو العفيف النظيف الناصح الحبيب المأمون العيب وكان القاضي يحيى بن أكثم يعرف قاضي جبل وهو الذي ولاه وأشار به فقال يا أمير المؤمنين إن هذا الذي ينادي ويثني على القاضي هو القاضي نفسه فاستضحك المأمون واستظرفه وأقره على القضاء وقد كان أهل جبل وقعوا عليه وذكروا أنه سفيه حديد يعرض رؤوس الخصوم | % (سيندم قوم حاربوني وإنهم % ستطرقهم من جاني أم قسطل) % | أم قسطل الداهية | % (وإن لساني مبضع أي مبضع % وفي كل عضو منهم عرق أكحل) % | % (وأقسم لولا خشية انا والحيا % نسخت به ذكرى جرير وجرول) % | % (بأسهم لفظ كالصواعق أرسلت % وأنصل معنى كالقضاء المنزل) % | % (وقافية تزداد حسناً وجدة % وتبقى بقاء الوحي في صم جندل) % | % (فلائد ما مرت بفكر مرقش % ولا خطرت يوماً ببال المهلهل) % | % (فكن حذراً فالحزم ينفع أهله % وإن كنت ممن يجهل الأمر فاسأل) % | وقد أطلنا ترجمته حسبما اقتضاه الحال وحاصله أنه كان فريد زمانه ووحيد أوانه وما أدري بأي عبارة أصف محاسنه وأذكر صنائعه وكان قبل موته بأيام نهض حظه نهضة عجيبة وذلك لإقبال الوزير الأعظم مصطفى باشا المقتول عليه وأدرى عليه إدارات كثيرة وشفع له عند المفتي فولاه إحدى المدارس الثمان ثم بعد أشهر ولاه مدرسة زال باشا التي بأيوب وفرح فرحاً شديداً واتفق لي أني كنت عنده فجاءه للتهنئة المولى رفيقي المدرس بمدرسة إبراهيم باشا بمدينة الغلطة فهناه ثم ذكر له أن هذه المدرسة مشهورة باليمن ومن جملة يمنها أنه لم يقع لأحد من مدرسيها أنه مات وهي عليها فعجبت من هذا ووقع في وهمي أن يكون مبدأ لموت بعض مدرسيها وانفصل المجلس ثم في ثاني يوم رأيت قرطاساً في وسط دواته فتأملت فيها فرأيت أنه قد شرع في عمل قصيدة وكتب قوافيها ولم يكتب منها إلا المطلع وهو هذا | % (ألم تر أن الهم قد زال بزالا % وأحسن آمالنا ولنا ومآلاً) % | فاستحكمت الطيرة في وهمي من لفظة زال وفارقتة عشية النهار وهو في لب الصحة ففي الصباح جاءني خادم له يدعوني إليه وذكر لي الخادم بأنه طعن بالليل فأسرعت إليه فلما دخلت عليه رأيت أنه قد انعقد لسانه وأشرف على الموت وبقي